الباب الثاني

مع الناس

تمهيد

الباب الثاني [مع الناس] مُكَوَّن من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من أربعة موضوعات، يخدم كل موضوع منها محورًا تربويًا متميزًا، وحتى لا تملّ من التشابه، أو يستحوذ عليك محور واحد لفترة طويلة فتفتر، أو يتحول الأمر إلى مجرد استرادة علمية دون تحقيق للجانب الوجداني أو للترجمة السلوكية المقصودة، كان تقسيم المحور الواحد على الفصول الأربعة مقصودًا، فمَن تناول الباب هذا الترتيب، سار في المحاور كلها بتوازن وخُطى ثابتة، وأعان نفسه على نفسه بالتنوع، وتحققت الجوانب الوجدانية والعملية بسهولة .

ومَن أراد بعد ذلك تتبع المحور الواحد عبر الفصول الأربعة، فله ما أراد، فإضافة كل موضوع إلى نظيره في باقي الفصول الأربعة، يكتمل المحور في جانبيه العلمي والمعرفي

فالمحور الأول يعتني ببعض الأصول التي يفهم الإسلام في إطارها، فيدعونا إلى البعد عن التكلف الذي من صوره السؤال عن أحكام لم تقع بعد، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليه العلم بعد، والكلام فيما جرى بين الصحابة من خلافات ونزاعات، ونتعلم منه أيضاً كيف يكون الخلاف في الرأي رحمة وخيرًا للمسلمين وليس سبباً للتفرق والشجار، ثم نرى كيف أن العبرة بمسميات الأشياء وليس بأسمائها، ونتعلم كذلك أنه لا ينبغي أن نطلق كلمة الكفر على أحد من المسلمين، ونتعرف على الأسباب التي يصير بها المسلم كافرًا

والمحور الثاني يعتني بالإيمان وزيادته وإيقاظه فيرشد المسلم إلى الطريق الذي

يصل به إلى محبة الله تعالى من خلال الصلاة والصيام النافلة والإكثار من ذكر الله، ويشير إلى ضرورة إدراك أهمية الوقت وحسن استغلاله في كل صالح ومفيد من خلال حسن التخطيط والإدارة له، كما يحثنا على السعي في طلب العلم والتزود منه، ويؤكد على حفظ الجوارح من كل ما يسوءها من مرض أو معاصي، وقد ألحقنا الأحاديث الخاصة بالسنن الكونية في آخر الكتاب لتكون عونًا على زيادة الإيمان

والمحور الثالث يلفت الانتباه إلى ضرورة أن يكون المسلم نافعاً لغيره، يفع الناس بماله، فيبذله في مساعدة الفقير وكفالة اليتيم وإقراض ذوي الحاجة وإنظار المعسرين وفي كل وجوه الخير، وينفعهم بجهده، فيسعى في قضاء حوائجهم ويشفع لهم في أبواب الخير، فإن عجز عن نفعهم بالمال أو الجهد فإنه يظل هناك أمر يستطيع أن ينفعهم به ألا وهو إسداء جميل المشاعر والمحبة، وكذلك ينفعهم بعلمه فينقل لهم ما تعلمه من علم وخبرات عملية.

أما المحور الرابع فيعتني بالرقائق من خلال تدبر الموت وأحوال الآخرة فنتعرف على البشريات التي تشير إلى حسن خاتمة المرء عند وفاته، ويعرض لبعض الأعمال التي تنفع المرء يوم القيامة وتنجيه من أهوال هذا اليوم العصيب، ونتعرف على سعة النار وبُعد قعرها لنتجنبها، ونتأمل مساكن الجنة من قصور وخيام كي نشتاق إليها فنجد في السعي للفوز بها

*****

الفصل الأول

١- بـــراءة مـــن التكلـــف

٢- حـــــتى أحبـــــه

٣- حتى تنفقوا ممـــا تحبـــون

٤- بشريات حسن الخاتمـــة

١- براءة من التكلف

سؤال يطرح نفسه دائمًا في أذهاننا: ما الثمرة المرجوَّة من هذا الكلام؟ وما فائدة هذا الخلاف؟ وما العمل الذي يمكن أداؤه من وراء ما نناقش فيه؟ فوقت المسلم ثمين، وواجباته تفوق أوقاته أضعافًا مضاعفة، فهو يحتاج في يومه إلى أضعاف أوقاته حتى يستطيع أن ينجز ما يريد من أعمال، وما يطمح من آمال، وما يَرْنو من أهداف، وهي- في الأساس- كلها عظيمة، ويترتب على هذا أن أي كلام أو نقاش حتى ولو كان علميًا، بل حتى ولو كان شرعيًا، إن لم يؤدِّ إلى ثمرة أو عمل مرجو فهو مرفوض وغير مقبول من الناحية الشرعية، وإليكم الأسباب:

مضيعة للوقت:

المسلم الجاد مطالب من قبل ربه بالحرص على وقته ألا يمضي بلا فائدة، بل إنه يَضِنُّ بوقته - كما يَضِنُّ بماله - أن لا يستثمره إلا فيما ينجيه في معاده يوم تُصَفُّ الأقدام أمام رب العالمين، أو فيما ينعيه في معاشه ودنياه كما قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ: "إني لا أحب أن يكون الرجل سهلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة" وكما جاء في الحديث "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ" [رواه البخاري، الحديث ١٣٨٣].

نهينا عن التكلف:

والتكلف في اللغة هو التعرض لما لا يعنيه، وتكلف الأمر تَحَشَّمه[1] على

---

١ - تكلف مشقة البحث عن حكمه

مشقة، فالحوص فيما لا يسي عليه عمل هو تعرض لما لا يعنيه، وتَحَشُّمٌ لمشقة لا فائدة من ورائها، قال الله تعالى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1]، وهو فقه عظيم من الإمام النووي حيث علّق القضية بمقاصد الشرع الكلية ومنها جلب المصالح ودفع المضار، فما لا مصلحة فيه من قول أو فعل، بل ومن الفكر وما يجول في النفس من الخطرات فهو من التكلف الذي نهاه النبي ﷺ عن نفسه، بل إن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ يصرح بأن النبي ﷺ قد نهاهم عن هذا فقال: نهينا عن التكلف [رواه البخاري الحديث٦٧٤٩]، ولهذا كان شعار المتقين من أمة النبي ﷺ كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ "أنا والأتقياء من أمتي بريئون من التكلف"[2]، وفي رواية: "إني وصالحي أمتي براء من التكلف"[3]

أسئلة تسيء:

ومن أمثلة التكلف المنهي عنه. كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع بعد، وقد ذكر الزهري عن عمار بن ياسر ﷺ وقد سئل عن مسألة، فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا لا، قال دعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناها لكم [رواه الدارمي، الحديث ١٢٣]، وهو منهج قرآني فريد في" فقه السؤال"، فليس كل ما يَعِنُّ للمسلم من تساؤلات يقوم بتكلف البحث عن إجابتها، بل يسأل عن المفيد والعملي بالنسبة له، أما من تعدّى هذا المنهج فقد أساء كما قال الله ﷻ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[4] وفي مناسبة هذه الآية

---

١ – من الآية ٨٦ من سورة ص

٢ – قال العجلوني في كشف الخفاء أخرجه الدارقطني في الإفراد بسند ضعيف

٣ – أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن الزبير بن العوام، وذكره العجلوني في كشف الخفاء

٤ – من الآية ١٠١ من سورة المائدة

يروي الجليلة الراشد علي ابن أبي طالب ﷺ قال: لما نزلت: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً"[1] قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ فَسَكَتَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كُلِّ عَامٍ قَالَ لا وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [رواه الترمذي، الحديث ٧٤٢]. ويعد أبرز مثال للإساءة في الأسئلة ما قام به بنو إسرائيل في أسئلتهم للكليم موسى عليه السلام حين أمر بذبح البقرة، ونعوذ بالله من مثل السوء

الخوض في الآيات العلمية:

من الأمور التي تعدّ من التكلف المنهي عنه لقلة جدواها أو عدمه "الخوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد"

فالقرآن الكريم أولاً-وقبل كل شيء-كتاب هداية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2] وقال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الحقائق العلمية في الطب والفلك وغير ذلك قبل أن يكتشفها العلماء، وفي ذلك تثبيت للمؤمنين، فليس القرآن قاموسًا للعلوم التطبيقية

ولقد افتتن كثير من الناس في أوائل القرن الماضي[4] بالاكتشافات العلمية الحديثة ووقفوا موقفين متصادين. فريق انبهر وغالى، وفريق أنكر ورفض.

وأحد الفريق المنبهر يستقبل الاكتشافات العلمية وهي في حين النظرية

---

١ - من الآية ٩٧ من سورة آل عمران

٢ - من الآية ٩ من سورة الإسراء

٣ - الآية ٢ من سوره البقرة

٤ - هو القرن العشرين

والاحتمال قبل أن ترقى لدرجة الحقيقة والقطع، ويحاول أن يلتمس وجودًا لها في الآيات القرآنية، فيلوي أعناقها، ويتعسف في تفسير معناها، وفي هذا المسلك من الخطورة الشيء الكثير، فهو يحدث ثغرات في نفوس الناس لتعبر هذه النظريات وتتمددها وقد شغل أهل هذا المسلك أنفسهم، وشغلوا الناس معهم، وضيعوا الأوقات وبددوا الطاقات ونسوا أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، ومنهج حياة أولاً وقبل كل شيء. ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]

المنهج العدل:

والمنهج العدل هو عدم الوقوف مع المغالين المتكلفين، ولا مع الرافضين، بل نقف موقفًا وسطًا بأخذ خير ما عند الفريقين ونبذ ما سواه انطلاقًا وانتهاء بضوابط الشرع وقواعده، فسكر الحوض فيما لم يصل إليه العلم بعد، أما ما ثبت حقيقته وله وجود في القرآن فلا مانع من بيانه بل هو من محاسنه[2]

المفاضلة بين الأصحاب.

ومن التكلف المنهي عنه شرعًا: المفاضلة بين الأصحاب وما شجر بينهم من خلاف، فالكلام في تفضيل أحد الصحابة على غيره ﷺ عمل ينطوي على

---

١ - الآيات ١٥، ١٦ من سورة المائدة، وانظر: محمد عبد الله الخطيب، محمد عبد الحليم حامد، نظرات في رسالة المعالم، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص [٩٨، ٩٩]، بتصرف

٢ - المرجع السابق

تضييع للوقت في غير فائدة إذ إن كلهم عند الله له مكانته، وقد أفضوا إلى ما قدموا، كما أن الخوض فيما شجر بينهم من خلاف، لابد أن يترتب عليه جرح لمن خاض، وخروج عن أدب الإسلام في وجوب احترام الصحابة جميعًا، وهذا ليس بجائز شرعًا، وكيف يجوز ذلك لأحد وقد أثنى الله عز وجل على الصحابة ﷺ كما أثنى عليهم النبي ﷺ، وقد وعدهم الله بالحسنى في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]

وقال سبحانه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

والآيات القرآنية في الثناء عليهم ووعدهم الحسنى ليست قليلة.

والسنة ترفعهم

وما ورد عنهم في السنة النبوية يرفعهم ويعلي مكانتهم، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ" [رواه البخاري، الحديث٣٣٩٧]

١- الآية ١٠٠ من سورة التوبة

٢- الآية ٢٩ من سورة الفتح

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ" [رواه البخاري، الحديث٢٤٥٨]

وعن عبد الله بن معقل ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ"[رواه الترمذي، الحديث٣٧٩٧]

وهكذا ترسم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أسلوب التعامل مع الصحابة رضوان الله عليهم، بحيث لا يجوز لمسلم أن يحاسبهم على ما قدموا، لأن ذلك موكول إلى الله تعالى وحده، يقول الأستاذ الإمام رحمه الله "وكل مسألة لا يبنى عليها عمل، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب ﷺ وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته، وجزاء نيته، وفي التأويل مندوحة"[1] وليكن هديُنا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

فلنربأ بأنفسنا عن أن نخوض في أحكام لم تقع أو معاني آيات لم يصل إليها العلم في المفاضلة بين الأصحاب وما شجر بينهم من خلاف، ولنحاسب أنفسنا كم مرة في الأسبوع خصصنا في مسألة لا يبنى عليها عمل.

١- حسن الصفا، رسالة التعاليم، ص ٩، الأصل التاسع

٢- الآية ١٠ من سورة الحشر

٢- حتى أحبه

للعبادات في الإسلام مستويان الأول منهما مستوى الفرض، وهو الذي يلزم به كل مكلف، ولا يقبل منه التكاسل عنه، أو التفريط فيه، فمن قَصّر كان مستوجبًا للذم والتأثيم في الدنيا، وللعقاب في الآخرة، ومن أدى الفرض مستوفيًا لأركانه وشروطه فقد أبرأ ذمته، وأسقط الإثم عنه

أما المستوى الآخر، فهو مستوى التطوع، وهو ما طلبه الشرع من المكلف طلب ندب واستحباب، لا طلب حزم وإلزام

وهذا التطوع المستحب له ثماره الطيبة التي يحسن بالمرء أن يحرص على اقتطافها، فمن ثماره أن يحز ما عسى أن يكون في أداء الفرض من خلل أو تقصير، وهو كذلك يريد من حسنات المرء فيثقّل ميزانه يوم القيامة، ومن أهم ثماره أنه يهيئ المرء المسلم للترقي في درجات القرب من الله تعالى ومن ثم ينال محبته سبحانه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"[رواه البخاري، الحديث٢١ ٦]

من أجل ذلك فتح الإسلام باب التطوع لأرباب الهمم والعزائم، ليأخذ كلٌّ بحظه منها تبعًا لطموحه وأشواقه لما عند الله تعالى من الفضل والكرامة

عليك بالسجود:

ومن أبواب التطوع التي دعانا النبي ﷺ إلى الإكثار منها صلاة النافلة، فعن معدان بن طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت له "دُلَّني عَلَى عَمَلٍ يَنْفَعَنِي اللهُ بِهِ وَيُدْخِلَنِي اللهُ الجَنَّةَ؟ فَسَكَتَ عَنِّي مَلِيًّا ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ عَلَيكَ بِالسُّجُودِ، فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ."مَا مِنْ عَبدٍ يَسْجُدُ للهِ سَجدَةً إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةً" [رواه الترمذي، الحديث ٣٥٤]

والمداومة على صلاة النافلة يجبر ما عسى أن يكون قد وقع في الفرائض من نقص أو تقصير، فعن حريث بن قبيصة قال: قدمت المدينة فقلت اللهم يسر لي جليسًا صالحًا قال فجلست إلى أبي هريرة ﷺ فقلت. إني سألت الله أن يرزقني جليسًا صالحًا فحدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لعل الله أن ينفعني به، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَةٍ شَيئاً قَالَ الرَبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى انْظُرُوا هَلْ لِعَبدِي مِن تَطَوعٍ فَيُكمِلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ" [رواه الترمذي، الحديث ٣٧٨]

فلنحرص على الإكثار من صلاة النافلة في يومنا وليلتنا حتى نفوز برفع الدرجات ومحو الخطايا وجبر التقصير في الفرائض، فإن عجزنا عن ذلك فلا يَقِلُّ حظنا عما أوصى به النبي ﷺ حين قال." مَنْ صَلَّى فِي يَومٍ وَلَيلَةٍ ثِنتَيْ عشرةَ رَكعَةً بُنِيَ لَهُ بَيتٌ فِي الجَنَّةِ. أَربَعاً قَبلَ الظُّهرِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَهَا، وَرَكعَتَينِ بَعدَ المَغرِبِ، وَرَكعَتَينِ بَعدَ العِشَاءِ، وَرَكعَتَينِ قَبلَ الفَجرِ صَلاةِ الغَدَاةِ"[رواه الترمذي، الحديث ٣٨]

لا عدل للصيام.

ومن أعظم أنواع التطوع التي يتقرب بها العبد إلى ربه لينال محبته أن يكون له حظ من صيام النافلة، فعن أبي أمامة ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل قال "عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا عِدْلَ لَهُ"[رواه النسائي، الحديث٢١٩٢].

وكفى بالصيام شرفًا أن نسبه الله تعالى إلى نفسه، فعن أبي هريرة ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ :"قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"[رواه البخاري، من الحديث١٧٧١].كما أنه تعالى رفع عظيم أجره حتى فاق غيره من العبادات، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ." كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي"[رواه مسلم، من الحديث١٩٤٥]

والصيام يأتي يوم القيامة مدافعًا عن أصحابه، فيحاج عنهم حتى يُتشفّع فيهم، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال:"الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ"[رواه أحمد، الحديث٦٦٣٧]

وكذلك فالصيام حجاب لأصحابه من عذاب النار، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ :"مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"[رواه مسلم، الحديث١٩٤٨].

فليكن لنا نصيب من خيرات الصيام الوفيرة بالإكثار من صيام النافلة وأدنى

دلك أن نصوم ثلاثة أيام في الشهر كما أوصى بدلك النبي ﷺ أبا هريرة ﷺ، فعنه رضي الله عنه قال "أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيْ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ"[رواه البخاري، الحديث١٨٤٥]

ولا تكن من الغافلين.

عن أبي هريرة ﷺ قال. قال النبي ﷺ "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"[رواه البخاري، الحديث٦٨٥٦]

هكذا ذِكْرُ الله تعالى يسمو بالمرء ويعلو به حتى ينال شرف ذكر الله له، بل إن ما يطلق به العبد من ألفاظ الذكر من تهليل وتكبير وتحميد ليذكر بأصحابه حول العرش، فعن النعمان بن بشير ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ أَلا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكَّرُ بِهِ"[رواه أحمد، الحديث١٧٦٣٩].

وذكر الله خير ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، كما أخبر بدلك النبي ﷺ حين قال "أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا: بَلَى، قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى"[رواه الترمذي، الحديث٣٢٩٩]

وذكر الله ﷻ يحيي القلوب فيدفعها إلى فعل الخيرات، أما الغفلة عن الذكر فهي تجعل المرء كالميت لا يرجى منه خير، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال

قال النبي ﷺ." مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ"[رواه البخاري، الحديث٥٩٢٨]

فلتكن ألسنتنا رطبة بذكر الله في كل وقت وحين، ولنحرص بالذكر الأوقات التي حث المولى سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عليها.﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1] ولنكن دليلنا في هذا الذكر ما ورد عن النبي ﷺ من أذكار الصباح والمساء فنحفظها ونعرف فضلها ونلهج بها ألسنتنا وقلوبنا في كل صباح ومساء.

مضاعفة للأجر.

هكذا بالإكثار من النوافل وبالمواظبة على أدائها نال محبة الله تعالى، أما إذا أردنا مضاعفة ثواب هذه الأعمال، فلندع من حولنا من الأقارب والمعارف إلى الالتزام بها، كي ينالوا محبة الله تعالى ونال – نحن – مضاعفة أجورنا وزيادة في محبة الله لنا

*****

١ – الآية ٢٠٥ من سورة الأعراف

٣- حتى تنفقوا مما تحبون

يرفض الإسلام أن يعيش أتباعه في معزل عن الناس، حتى وإن كان ذلك لاشعالهم بالعبادة، ويدْعوهم إلى مخالطة الناس ومعاشرتهم، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال قال رسول الله ﷺ "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" [رواه ابن ماجة، الحديث٤٠٣٢] بل ويحث الإسلام أتباعه على أن يكونوا في مخالطتهم هذه نافعين لغيرهم بكل أشكال النفع الممكنة، فيقول النبي ﷺ "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس" [رواه الطبراني بسند حسن].

بذل وإنفاق.

ونفع المسلم لغيره بالمال هو إحدى الصور التي حث عليها الإسلام، ولذلك يدعونا النبي ﷺ في كثير من أحاديثه إلى بذل المال والتصدق به، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ[1] تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[2] حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ"[رواه البخاري،الحديث١٣٢١] ويوم القيامة حين تدنو الشمس من الرءوس تأتي الصدقة فتظل صاحبها حتى يُفصل بين الناس، فعن عقبة بن عامر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول."كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ [رواه أحمد، الحديث١٦٦٩٥]

---

١ - أي مثل

٢ - الصغير من أولاد الماشية

والصدقة تمحو الخطايا والذنوب، فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " . وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ"[رواه الترمذي، من الحديث٥٥٨]

كفالة وإحسان:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال "بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَقَالَ رسول الله ﷺ "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ"، قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ [رواه مسلم، الحديث ٣٢٥٨]

هكذا يدعونا النبي ﷺ إلى التكافل والمواساة والإحسان لمن حولنا من ذوي الحاجات، وأن نكون لهم عونًا على سد حاجاتهم على اختلاف أشكالها، وأن نسارع إلى ذلك دون انتظار لطلبهم المساعدة، بل إن النبي ﷺ يعتبر كمال الإيمان عمن قصر في كفالة من حوله من ذوي الحاجة، فيقول صلى الله عليه وسلم."ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به"[رواه الطبراني وصححه الألباني]

كهاتين في الجنة:

ومن صور الحث للآخرين التي دعانا إليها النبي ﷺ أن نكفل اليتيم فنقوم بأمره ومصالحه، ونوفر له حاجاته من النفقة والكسوة والمأكل والمشرب وغير ذلك مما يحتاج إليه، فهي هذا علو لدرجات المرء حتى يكون قريبًا من النبي ﷺ في الجنة، فعن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال:"أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ"[رواه أبو داود، الحديث٤٤٨٣]

لعل الله أن يتجاوز عنا

وإقراض ذوي الحاجة وإنظار المعسرين منهم من أبواب بذل المال التي يحبها المسلم عظيم الأجر والمثوبة من الله تعالى، وإذا حلَّ أجل الدين وعجز المقترض عن الوفاء بموعده فأنظره المقرض كان له بهذا الإنظار عن كل يوم صدقتين، فعن بريدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ، قَالَ ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ، قُلْتُ سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ، قَالَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ" [رواه أحمد، الحديث٢١٩٦٨]

وإنظار المعسر أو وضع الدين عنه من أسباب النجاة يوم القيامة، فعن عبد الله ابن أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده فقال إني معسر فقال آلله؟ قال آلله؟ قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"[رواه مسلم، الحديث ٢٩٢٣] وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ"[رواه مسلم، من الحديث٥٣٢٨]

بل إن إنظار المعسرين قد يكون سببًا وحده لنجاة العبد يوم القيامة وإن قلت بضاعته من الحسنات، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال "إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ ﷻ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا

قَطُّ قَالَ لا إلا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ" [رواه النسائي، الحديث ٤٦١٥]

أحب الأعمال إلى الله:

وقضاء الدين عن العاجزين الذين عجزت أيديهم عن الوفاء به من أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه سوءًا أو تقضي عنه دينًا**"[رواه الطبراني وحسنه الألباني].

ومن أروع ما روي في هذا الأمر استجابة النبي ﷺ بقضاء الدين عن المدين أن رجلاً يسمى مسروقًا أثقله الدين، وكان على أخيه جيثمة دين، فذهب مسروق فقضى دين جيثمة وهو لا يعلم، وذهب جيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم.

ودخل عليّ بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي، فقال: ما شأنك؟ قال عليَّ دين، قال: كم هو؟ قال خمسة عشر ألف دينار، أو بضعة عشر ألف دينار قال فهي عليّ"

من جهز غازيًا.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " **مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلا صَلاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى**"[رواه مسلم، الحديث ٣٤٩٠] وهذه بعض فضائل المجاهد في سبيل الله والتي لا نستطيع حصرها في هذا المقام

ورغم عظم فضائل الجهاد في سبيل الله إلا أن المرء قد يحصِّلها وإن لم يعر حقيقة بإنفاقه من ماله في سبيل الله فيهيئ للغازي أسباب سفره وما يعينه على الجهاد، أو أن يقوم مقامه في شئون أهله وقضاء حاجاتهم والإنفاق عليهم، فمن قام بأيهما فكأنما أجر المجاهد في سبيل الله، فعن زيد بن خالد الجهني ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا" [رواه مسلم، الحديث ٣٥١٢]

اللهم أعطِ منفقًا خلفًا.

هذه هي بعض ثمار نفع الغير مما وهبنا الله تعالى من أموال، فلنحرص على بذل المال في مساعدة الفقير وكفالة اليتيم وإقراض ذوي الحاجات وإنظار المعسرين وقضاء الدين عن المدينين والمشاركة في مغارس التكافل مما استطعنا من مال ومتاع وغير ذلك من وجوه الخير، حتى نفوز بالأجر في الآخرة ودوام النعمة في الدنيا كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ حين قال: "إن الله تعالى أقوامًا يخصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم" [رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" [رواه البخاري، الحديث ١٣٥١]

*****

٤- بشريات حسن الخاتمة

يلاقي المرء عند احتضاره من الأهوال والشدائد ما ينسيه أمها الولدان وما تحر منه الحبال، فها هي شدائد الموت وكرباته يعانيها شدة بعد شدة وكربة بعد كربة حتى تفيض منه الروح، وفي وسط هذه الأهوال والشدائد تلوح للمرء المؤمن ولمن حوله بعض البشريات التي تشير إلى حسن ختام المحتضر فتهدأ معها النفوس وتقر بها العيون

وأبشروا بالجنة:

في ظل شدائد الموت وكرباته تنزل الملائكة لتبشر المؤمنين برضوان الله عنهم ومغفرته لهم، وتبشرهم بأنهم من أصحاب الجنان المكرمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ . . "[رواه احمد، من الحديث ١٧٨٠٣].

وحينئذ يسعد المؤمن بهذه البشارة فيشتاق إلى لقاء الله ولا يصبح في هذه

---

١ - الآية ٣٠ من سورة فصلت

اللحظات شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ حين قال فيما يرويه عبادة بن الصامت ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ "لَيْسَ ذَاكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" [رواه البخاري، الحديث٦٥٠٧]

استعمال في الخير

فمن فضل الله على السعداء من المؤمنين أن يوفقهم إلى اجتناب المعاصي والخطايا والإقبال على الطاعات والصالحات، ثم يقبضهم وهم على هذه الحال الطيبة، فذاك من علامات حسن الخاتمة فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ، فَقِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ" [رواه الترمذي، الحديث٢١٤٢]

ومما يُستبشر به أيضًا عند الموت أن يقبض المرء وهو في طاعة الله تعالى كأن يكون ذاكرًا أو صائمًا أو متصدقًا أو غير ذلك من الطاعات والقربات، ففي الحديث عن حذيفة ﷺ قال. أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ – قَالَ حَسَنٌ[1] ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ – خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" [رواه أحمد، الحديث٢٢٢٣٥]. وعن معاذ بن جبل ﷺ قال. قال

---

١ – حسن بن موسى هو أحد الرواة لهذا الحديث

رسول الله ﷺ "مَنْ كان آخرُ كلامه لا إلَهَ الا اللّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[رواه ابو داود، الحديث٢٧٠٩]

رشح الجبين

عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال "مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ"[رواه النسائي الحديث ١٨]. هكذا هو عرق الجبين إشارة وعلامة على حسن الختام، وقيل إنه نتيجة لما يعانيه من شدة الموت تنقية له وتصفية مما بقي عليه من ذنوب، وقيل حياء من الله، وقيل هو علامة جُعلت لموت المؤمن وإن لم يعرف سببه

ثناء بالخير

وحين يشهد بعض الصالحين للمتوفي بأنه من أهل الخير والصلاح، ويشهدون عليه بالخير، فهي دلك نترى له بالخير إن شاء الله، فعن أبي الأسود أنه قال "قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ ﷺ وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ ﷺ وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا فَقَالَ وَجَبَتْ، فَقَالَ أَبُو الأَسْوَدِ فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقُلْنَا وَثَلاثَةٌ قَالَ وَثَلاثَةٌ فَقُلْنَا وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ"[رواه البخاري، الحديث١٢٧٩]

في خير الأيام:

ومن سعادة المرء أن يُقبض في خير يوم طلعت عليه الشمس، وهو يوم الجمعة وليلته، فهي دلك وقاية له من فتنة القبر كما علمنا النبي ﷺ حين قال

فيما يرويه عبد الله بن عمرو ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ"[رواه الترمذى، الحديث ٩٩٤]

استقامة وانتهال:

كانت هذه بعض البشريات التي يسعد بها المختصر ومن حوله ويرجون معها أن يكون من أصحاب الجنة إن شاء الله، ومن الجدير بنا أن نسعى لأن نكون من أصحاب هذه البشارات بإقبالنا على كل ما يرضي الله تعالى من عادات وأعمال صالحات، ثم بالإكثار من الابتهال إليه سبحانه أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه

*****